

"What the contenders (or strivers) have achieved in criticism (or refutation)."

ما حصله الساعون في الطعن

د. منذر زعلان خضي

Dr. Munther Zalaan Khudhair

كلية الحضارة الجامعة

الملخص

يعد الطاعون من أشد الأوبئة ضراوة عبر التاريخ، فقد عانى المسلمون منه، وكان الحجر الصحي هو الحل الأمثل للتقليل من انتشاره، والحد من ارتفاع نسبة الوفيات، هذه التربية الصحية السليمة التي أرشدنا إليها الرسول الكريم (ص).

ومن أبرز الطواعين التي مسّت الدولة الإسلامية: طاعون شيرويه ((٦١هـ، ٦٢٧م) وطاعون عمواس (١٨هـ، 639م)، الطاعون العظيم بالكوفة (٥٠هـ، ٦٧٠م)، وطاعون الجارف (٦٩هـ، ٦٨٨م)، وطاعون الفتيات والأشراف (٨٧هـ، ٧٠٥م)، وطاعون عدي بن أرطاة (١٠٠هـ، ٧١٨م)، وطاعون غراب (١٢٧هـ، ٧٤٤م)، وطاعون مسلم بن قتيبة (١٣١هـ، ٧٤٨م).

كان للعلامة عيسى ابن عيسى الصفطي خبرة طويلة في بيان المسائل الفقهية، وقد كشفت الدراسة المتواضعة التي قدمتها عنه عن سيرته وعلمه وغيرهما. وشخصية الشيخ الصفطي تستحق دراسة أوسع وعناية أكثر من هذا، ولكن على قول المنتقى: العلم ببعض التفاصيل خير من جهل التفاصيل والعموميات. الكلمات المفتاحية: الطاعون، الأوبئة، أشهر الطواعين.

Abstract:

The plague is one of the most virulent epidemics throughout history, Muslims have suffered from it, and quarantine was the best solution to reduce its spread and reduce the high death rate. This is the sound health education that the Messenger of God, peace and blessings be upon him, guided us to. and one of the most prominent plagues that affected the Islamic state: the Shiroeh Plague (6AH-627AD), the Plague of Emmaus (18AH-639AD), the Great Plague in Kufa (50AH670AD), the Plague of the Great (69AH-688AD), the Plague of the Great or Girls and the Nobles (87AH-705AD), and the plague of Uday bin Arta (100AH-718AD), the plague of Ghorab (127AH-744AD), and the plague of Muslim bin Qutaiba

(131AH-748AD), These epidemics contributed to the fall of the Umayyad dynasty

Sheikh Issa ibn Issa al-Safti had extensive experience in explaining matters of Islamic jurisprudence (fiqh), and the modest study I have presented of him has revealed his biography, knowledge, and other aspects. Sheikh al-Safti's personality deserves more extensive study and attention than this, but as al-Muntaqa says: knowledge of some details is better than ignorance of details and generalities.

. Keywords: Epidemic; Plague; The Most Famous Plagues; Quarantine; History.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المصطفى صلى الله عليه وعلى بيته الطيبين الطاهرين. خلق الإنسان، علمه البيان، وفضله على بقية المخلوقات ليختار، ووهبه للتفكر والاعتبار، فقال تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ﴾، (الحشر، آية: ٢)، فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها، اللهم لك الحمد لا نحصي ثناء عليك كما أثنيت على نفسك، بفضلك تتم الصالحات، والصلاة والسلام على إمام الأنبياء والمرسلين الرحمة المهداة والسراج المنير سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته إلى يوم الدين. وبَعْدُ:

فقد ألف علماء المسلمين جملة من المؤلفات والكتب والمصنفات المتعلقة بالطاعون والوباء، سواء في الحديث أو الفقه أو الطب أو الأدب أو الشعر، وتركوا لنا تراثاً علمياً زاخراً في هذا الصدد. ونظراً لأهمية هذا التراث تم المضي قدماً على طريق التقصي والتتبع، إسهاماً منه في إمطة اللثام عن جزء ضئيل من تراثنا الغني فيه، وبعد جهده المبذول في الاستقراء والمتابعة في فهراس المخطوطات، وقع الاختيار على " جزء من مخطوط بعنوان" ما حصله الساعون في الطعن والطاعون" للعلامة عيسى بن عيسى السفطي، للقيام بدراسته ووضع تحقيق على حاشيته.

إنَّ المطلع على المكتبات سيجد كثيراً من الكتب والمخطوطات قد مرَّت عليها دهور طويلة، حيث تراكم الغبار على تلك الكتب، وأنَّ الناظر إلى هذه المخطوطات ليقف منهراً أمام هذه الثروة العلمية الكبيرة، لكن مُعْظَمَ هذا التراث العلمي إما مخطوط محجوب عن النور، بحيث لم يأخذ طريقه إلى الدراسة والتحقيق والطبع، أو خَمَدَ بخمود بلادهم وأوطانهم، إنَّزَّ الأحداث السياسية المعقدة التي أَخَذَتْ بهم، فأصبح ما بقي منه على شفا حافة النيران والهلاك لولا جُهد بعض الدارسين المخلصين، ومع ذلك لم يخرج إلى حَيِّز التداول إلا النزر اليسير.

أهمية الدراسة:

يكتسي موضوع البحث أهمية كبيرة يمكن تجليتها في النقاط التالية:

- يتعلّق موضوع البحث بالوباء والطاعون، وهو موضوع من مواضيع الساعة التي شغل بها العالم كله.
 - يتعلّق موضوع البحث بعلوم مختلفة سواء كانت شرعية كالحديث والفقه، أو طبية كعلاج الطاعون وأعراضه، أو أدبية كالمقامات والنصوص الشعرية التي نظمت عن الطواعين والأوبئة.
 - إبراز إسهامات وجهود علماء المسلمين في معالجة ودراسة موضوع الطواعين والأوبئة.
- أسباب اختيار الدراسة

تكمن الأسباب وراء اختيار هذا الموضوع عدة أمور أهمها:

١. المخطوط لم يُحقّق من قبل، لذلك وجدت في نفسي رغبة في تحقيقه والتعليق عليه.
٢. التعليقات بحاجة واضحة وملحة للخدمة والعناية بها.

مشكلة الدراسة:

ألف علماء المسلمين جملة من الكتب والمصنفات في الطواعين والأوبئة في الحديث والفقه والطب والأدب والشعر، غير أن هذا التراث الزاخر لم يحظ بالفهرسة والترتيب، ولذلك قمت بتحقيق هذا التراث العلمي وفهرسته. وتكمن مشكلة الدراسة في الإجابة على السؤال الرئيس الآتي:

ما الذي رواه الساعون في الطعن والطاعون؟

ويتفرع عنه الأسئلة الفرعية الآتية:

- ١- بماذا تخدم هذه الدراسة المشتغلين في علم الحديث والطب والفقه، وكيف ذلك؟
- ٣- ما هي الجهود التي قدمها عيسى بن الصفطي في خدمة الأوبئة والطاعون من خلال هذا المخطوط؟
- ٥- ما المنهج الذي اتبعه العلامة عيسى الصفطي في هذا المخطوط؟

أهداف الدراسة:

ترمي هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

- ١- إعادة تقديم النص صحيحاً محرراً كما أراده مؤلفه مستنداً على المراجع التي رجع إليها؛ للتسهيل على الباحثين وطلبة العلم والباحثين الوصول إليها.
- ٢- المساهمة في إحياء التراث الإسلامي العريق، من خلال الاعتناء بهذا التراث، واستحضار الحالة العلمية التي كانت سائدة عند السلف آنذاك.
- ٣- إبراز جهود العلامة عيسى بن الصفطي كونه عالماً جليلاً يستحق خدمة علمه والاعتناء بمصنفاته.

صعوبات الدراسة

من أهم الصعوبات التي واجهتها الدراسة:

- صعوبة الحصول على المخطوط، لقد تواصلت مع أشخاص كثير إلى أن حصلت على نسختين منه.

حدود الدراسة:

ستقتصر هذه الدراسة على تحقيق مخطوط العلامة عيسى ابن عيسى الصفطي والموسوم بعنوان "ما حصله الساعون في الطعن والطاعون" والتعليق عليها.

خطة الدراسة

اشتملت الخطة على مقدمة وقسمين وخاتمة ، أما المقدمة فقد تضمنت: أهمية الدراسة، أسباب اختيار الدراسة، مشكلة الدراسة، أهداف الدراسة، عملي في البحث، منهج الدراسة، صعوبات الدراسة، حدود الدراسة، خطة الدراسة.

القسم الأول: التعريف بالمؤلف

القسم الثاني: دراسة المخطوط "ما حصله الساعون في الطعن والطاعون".

مقدمة:

كان الشيخ الصفطي حافظاً وفقهاً وجميع الخطوط العلمية التي تركها للأجيال اللاحقة كانت في علوم الفقه الحنفي، وهذا لا يحجب آراء فقهاء المذاهب الأخرى. منها: أن هذه السطور تتوالى على مجموعة من الفتاوى للمتأخرين في ذهب أبي حنيفة (رحمه الله) ، ثم تشير كتب الفتاوى عادة إلى ما دون الأدلة.

القسم الأول: التعريف بالمؤلف

اتفقت المصادر التي ترجمت له على أن اسمه الشيخ الفقيه العلامة المتقن المتفنن الشيخ عيسى بن عيسى الحنفي^(١) من أهل البحيرة وينتمي إلى أسرة فاضلة عالمية في مصر حيث وُلِدَ. ويُرجَّح أنه توفي حوالي عام (١١٤٣ هـ / ١٧٣٠ م).

هكذا ورد على صدر مؤلفاته المطبوعة والمخطوطة، ولم يختلف في اسمه ولا في اسم أبيه.

(١) أنظر: تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار، عبد الرحمن بن حسن الجبرتي، دار الجيل، بيروت، ٢٣٣٠، ٢/، والأعلام، خير الدين بن محمود، الزركلي الدمشقي، (ت ١٣٩٦ هـ)، ط ١٥، دار العلم للملايين، بيروت، ٢٠٠٢ م، ١٠٦/٥، وهدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، إسماعيل بن محمد البغدادي، (ت ١٣٩٩ هـ)، وكالة المعارف الجليلية، استانبول ١٩٥١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ١/٨١١ و معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن محمد راغب كحالة الدمشقي، (ت ١٤٠٨ هـ)، مكتبة المثنى، بيروت، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٨/٣١.

لقبه:

ذكرت بعض المصادر التي ترجمت له أن لقبه السفطي (١)، وقيل: السفطي (٢) وقيل: الصفطي البحيري (٣) نسبة الى أهل البحيرة بمصر (٤). ومع تعدد هذه الألقاب في كتب التراجم إلا أن اللقب الغالب الذي ذكر في المخطوط هو الصفطي، أو السفطي)..

مذهبه:

يظهر من مؤلفاته أنه كان على مذهب الإمام أبي حنيفة (رحمه الله)؛ ولهذا أسهمت مؤلفاته في نشر فقه الحنفية.

نشأته العلمية، و شيوخه:

تربى الشيخ الفقيه العلامة السفطي أو الصفطي الحنفية تربية دينية في بيئة متدينة، واهتم منذ نعومة أظفاره بالعلم وطلبه، إذ تلقى علومه المختلفة و لاسيما علم الفقه عن الشيخ إبراهيم بن عبد الفتاح بن أبي الفتح الدلحي الفرضي الشافعي، وعن الشيخ أحمد الاهناسي، وعن الشيخ أحمد ابن إبراهيم التونسي الحنفي الشهير بالدوقدوسي، وعن السيد علي ابن السيد علي الحسيني الشهير باسكندر، والشيخ محمد بن عبد العزيز بن إبراهيم الزيايدي ثلاثتهم عن الشيخ شاهين الارمناوي، حتى أصبح من مجتهدي عصره، وأعلام الفقه الحنفي (٥)

مؤلفاته:

صنف الشيخ الفقيه العلامة عيسى بن الصفطي كتباً كثيرة في الفقه افسلامي على مذهب الحنفية ، منها، الجواهر الحسان في حل شرب الدخان (رسالة)، والدر المنظوم في إسقاط الصوم والصلاة.

وفاته:

اتفقت المصادر على أن الشيخ عيسى بن عيسى الصفطي توفي سنة ثلاثة وأربعين ومائة وألف (٦) ، ولم أجد شيئاً عن دفنه في كتب التراجم.

(١) ينظر: تاريخ عجائب الآثار، للجبرتي، ١/٢٣٣.

(٢) ينظر: الأعلام، للزركلي، ٥/١٠٦ وهدية العارفين، ١١٨/١.

(٣) هو نظر: هدية العارفين، ١١٨/١ و معجم المؤلفين، ٣١/٨.

(٤) ينظر: الأعلام، للزركلي، ١٠٦/٥.

(٥) معجم المؤلفين، ٣١/٨.

(٦) تاريخ عجائب الآثار، للجبرتي، ٢٣٤/١، والأعلام، للزركلي، ١٠٦/٥ وهدية العارفين، ١١٨/١.

القسم الثاني: النص المحقق ودراسته

اعتمد العلامة عيسى بن عيسى الصفطي في مؤلفه على العلامة السيوطي في كتابه (ما رواه الواقون في رفع الطاعون"، ومن "خلاصة الساعون" للبيروني. وكان الفراغ من تأليف المخطوط ليلة الأربعاء تاسع ربيع الأول الذي هو شهر ستة ألف ومائة وإثني عشر من الهجرة النبوية.

فصل: في مبتدأ^(١) الطاعون

عن أسامة بن زيد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إن هذا الطاعون رجز وبقية وعذاب عذب به قوم لوط»^(٢)، وفي لفظ: عذب به أناس قبلكم»، وفي لفظ آخر: «رجزاً أهلك الله به بعض الأمم وقد بقي في الأرض منه شيء، يجيء حياناً ويذهب أحياناً»، وعن سعيد بن جبير^(٣) قال: «أمر موسى قومه من بني إسرائيل أن يؤمنوا بعدما جاء قوم [١] فرعون الآيات الخمس: الطوفان...»^(٤)، وما ذكر في الآية فلم يؤمنوا ولم يرسلوا معه بني إسرائيل، فقال: «ليذبح كل منكم كبشاً ثم ليخضب كفه بدمه ثم ليضرب به على بابه، فقال القبط لبني إسرائيل: لم تجعلون هذا الدم على أبوابكم؟ فقالوا: إن الله يرسل عليكم عذاباً يقتلكم به وتهلكون، فأصبحوا وقد طعن من قوم فرعون سبعون ألفاً فأمسوا وهم لا يتوافقون، فقال فرعون لموسى: ادع لنا ربك بما عهد عندك، لننكشف عنا الرجز - يعني الطاعون -، فدعا ربه فكشف عنهم»^(٥).

(١) يقصد به كتاب جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، (ما رواه الواقون في الأخبار الواردة عن الطاعون)، من أشهر طبعاته:

تحقيق محمّد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧م.

(٢) لم أجده بهذه الصيغة، وأخرجه مسلم في صحيحه باختلاف يسير وإسناد صحيح. هذا الوجع رجز، أو عذاب، أو بقية عذاب عذب به أناس من قبلكم، فإذا كان بأرضي وأنتم بها فلا تخرجوا منها، وإذا بلغكم أنه بأرضي فلا تدخلوها. انظر: صحيح مسلم \ النووي، ص ٢٠٦ ج ١٤، المطبعة المصرية.

(٣) هو سعيد بن جبير بن هشام الأسدي، ويُعد أحد الأئمة الصالحين والعلماء التابعين الأتقياء، ولد في الكوفة ودرس العلم عن عبد الله بن عباس الذي لقب بحبر الأمة فكان له كظله، تعلم ونهل منه التفاصيل الدقيقة المتعلقة بعلوم القرآن، وكان تلميذاً لعبد الله بن عمرو، قام سعيد بن جبير بتفسير القرآن وشرح آياته، هذا وقد سكن سعيد بن جبير في الكوفة وقام بنشر العلم فيها، ممّا أهله ليكون إماماً ومعلماً لسكانها.

(٤) انظر: الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تفسير سورة الأعراف، الآية ٣٣ {فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالْدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ}، دار التفسير، ج ٣، ص ١٨٨.

(٥) المرجع نفسه، ج ١٢، ص ٤٩٠.

وأخرج ابن جرير^(١): «أن رجلاً كان يقال له بلعام^(٢) كان مجاب الدعوة^(٣)، وأن موسى أقبل في بني إسرائيل يريد الأرض التي بها بلعام فرعبوا رعباً شديداً، فأتوا بلعام فقالوا: ادع لنا ربك عليهم فقال: حتى أوامر ربي، فأمره فقي له لا تدع عليهم فإنهم عبادي ونبيهم معهم، فأهدونه هدية فقبلها ثم راجعوه فقال: حتى أوامر ربي، فأمر فلم يرجع إليه شيء، فقالوا: ألوكره ربك أن تدعو عليهم لنهاك كما نهاك في المرة الأولى، فأخذ يدعو عليهم فيجري على لسانه الدعاء على قومه، وإذا أراد أن يدعو لقومه دع أن يفتح لموسى وجيشه، فلاموه فقال: ما يجري على لساني إلا هكذا ولكن سأدلكم على أمر عسى أن يكون فيه هلاكهم، إن الله يبغض الزنا، وأنهم إن وقعوا في الزنا هلكوا، فأخرجوا النساء إليهم فتستقبلهم فإنهم قوم مسافرون، فعسا^(٤) يزونا فهلكوا ففعلوا فوقعوا في الزنا، فأرسل الله على بني إسرائيل الطاعون فمات منهم [٢] سبعون ألفاً^(٥).

وعن علي بن أبي طالب: «أن نبياً من الأنبياء عصاه قومه فقيل له نقتلهم بالجوع، فقال: لا، وقال: نسلط عليهم عذاباً عدواً من غيرهم، قال: لا، ولكن موت ذفيف^(٦) فسلط عليهم الطاعون فجعل يقل العدد ويحرق القلوب، وهو بقية عذاب عذب به من كان قبلكم»، أسانده جيد، وفي المبتدأ^(٧) لابن إسحاق^(٨): إن الله أوحى إلى داود أن بني إسرائيل قد أكثر طغيانهم، فخيرهم بين ثلاث، إما أن أبتلهم بالقحط سنتين و أسلط عليهم العدو شهرين أو أرسل عليهم الطاعون ثلاثة أيام، فخيرهم فقالوا: أنت نبينا فاختر، فقال: أما الجوع فبلاء فاضح لا صبر، وأما العدو فلا بقية معه، فاختر لهم الطاعون فمات منهم إلى أن زالت الشمس سبعون ألفاً، فتضرع

(١) هو الإمام العلم العلامة، المجتهد المطلق، شيخ الإسلام، إمام المفسرين، ورائد المؤرخين، كبير المصنّفين، البحر الزخار، الموسوعي الكبير، جامع العلوم، والحائز على الفنون، الإمام أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن غالب بن كثير بن غالب الطبري. وُلد الإمام الطبري سنة ٢٢٤هـ على الأرجح، ببلدة أمل عاصمة إقليم طبرستان في شمال غرب خراسان، وهي مدينة كبيرة واسعة عامرة بالسكان، وكان الطبري أسمر اللون، واسع العينين، نحيف الجسد، مديد القامة، فصيح اللسان، أسود الشعر وبقي السواد في شعر رأسه ولحيته إلى حين وفاته على الرغم من تجاوزه الثمانين

(٢) بلعام (أو بلعم) بن باعوراء، وقيل: بلعم بن باعر، وهو كاهن ذُكر في التوراة (العهد القديم)، بدأت قصته في سفر العدد الإصحاح ٢٢، كما ذُكرت له قصة في القرآن الكريم والتراث الإسلامي، حيث يُعتقد أنه المقصود من الآيتين ١٥٧ و ١٧٦ من سورة الأعراف، وتشير المصادر الكهنوتية أن بلعام كان نبياً لكنه لم يكن من بني إسرائيل. قُتل على يد بني إسرائيل.

(٣) قيل: كان على علم باسم الله الأقدس يُعطى كل ما يطلبه، أما اللعنة فقد حوّل الله لسانه، فوقعت اللعنة على شعبه والبركة على إسرائيل.

(٤) هكذا في الرسم، والصحيح (عسى) واستعمال الألف الممدودة بدل الألف المقصورة من أخطاء النساخ الشائعة.

(٥) انظر تفسير ابن جرير الطبري (٣١٠هـ) في سورة الأعراف (١٧٦).

(٦) الموت الذفيف: الموت السريع، وتأتي بمعنى خفيف. انظر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، حرف الذال، مادة ذفف، تحقيق إبراهيم اليازجي وآخرون، ط٣، دار صادر، بيروت.

(٧) المبتدأ، هو القسم الأول من كتاب السيرة النبوية لابن إسحاق، وهو كتاب تاريخي شامل يبدأ بخلق آدم عليه السلام وينتهي بعهد النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وهذا القسم يركز على التاريخ القديم والأحداث التي سبقت الإسلام، ويعتمد بشكل كبير على روايات وهب بن منبه، ممّا عرضه للانتقادات بسبب الإسناد إلى مصادر غير موثوقة.

(٨) هو محمد بن إسحاق الملقب الشهير بـ ابن إسحاق (ت ١٥٢هـ)، المكتبة الشاملة.

داوود إلى الله فرفعه عنهم، فقال داوود: إن الله رفعه عنكم ورحمكم فأحدثوا لله شكرًا بقدر ما ابلاككم^(١)، فشرع في تأسيس بيت المقدس إلى أن كان كماله على يد سليمان ولده. انتهى

فصل: في حقيقة الطاعون

وعن أبي موسى الأشعري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «فناء أمتي بالطاعون وخذ أعدائكم من الجن وفي كلِّ شهادة»^(٢)، ومعنى الطعن: القتل بالرمح، والوخز: طعن بلا نفاذ.

وأخرج أحمد عن أبي بردة أخي الأشعري قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ اجعل فناء أمتي قتلاً في سبيلك بالطعن والطاعون»^(٣)، وقد أشكل بعضهم هذا الحديث بأن أكثر الأمة يموتون بغيرها [٣]، وأجاب: بأن المراد بالأمة الصحابة، وفيه بعد، بل ما قاله ابن الأثير أولى من أنهما الغالب على فناء الأمة وهو صحيح، فإنه إذا استقر الأمر وجد القدر الذي يموت بالطاعون أكثر من القدر الذي مات فيما بينه وبين الطاعون الذي قتله، فكيف إذا انضم إلى ذلك القتل الحاصل في الجهاد والفتن، فإن قيل كيف دعا بالهلاك على أمته؟ أجيب: ليس المقصود الدعاء بالهلاك، وإنما المراد حصول الشهادة لهم بكل من الأُميرين، والفناء أمر لا بد منه، فكان محط الدعاء على جعل ذلك سبباً للفناء، الذي قدّر الله كونه الدعاء على جعل ذلك سبباً للفناء الذي قدر الله كونه لا محالة لا على القتال.

قلت: وظهر لي حكمة أخرى وهو أنه عليه السلام دعي بذلك ليكون كفارة لما يقع من أمته، كما ورد أن القتل لا يمر بذنب إلا محاه، فأخرج أحمد عن أبي قلابة أن الطاعون وقع في الشام فقال ابن العاص: إن هذا الرجز قد وقع ففرّوا منه في الأودية وغيرها، فبلغ ذلك معاذاً فلم يصدق به بما قال، فقال: بل هو شهادة ورحمة ودعوة نبيكم، اللهم أعط معاذاً وأهله نصيبهم من رحمتك، فعرفت الشهادة وعرفت الرحمة ولم أدر ما دعوة نبيكم حتى أتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما هو ذات ليلة يصلي إذ قال في دعائه: «فحمي إذن أو طاعون ثلاث مرات، فلما أصبح قال له إنسان من أهله: يا رسول الله قد سمعتك الليلة تدعو بدعاء، قال: وسمعتك؟ قال: نعم، قال: إني سألت ربي أن لا يهلك بسببه فأعطانيها، وسألته [٤] أن لا يسلط عليهم عدواً غيرهم فأعطانيها، وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فأبى علي، فقلت: حمي إذن أو الطاعون ثلاثاً»^(٤)،

(١) هكذا في الرسم، ولعلها ابتلاكم.

(٢) أخرجه أحمد في المسند ٣٩٥/٤، والبزار في مسنده ح (٢٩٨٦) ١٦/٨، وأبو يعلى في مسنده ح (٧٢٢٦) ١٣/١٩٤، والطبراني في الأوسط ح (١٤١٨) ٢/١٠٩، والحاكم في المستدرک ح (١٥٨) ١/١١٤، والبيهقي في الدلائل ٦/٣٨٤. قال الهيثمي في المجمع ٢/٣١١: رواه أحمد بأسانيد، ورجال بعضها رجال الصحيح. والحديث إسناده فيه ضعف، فيه جُبارة بن المغلس، ضعفه ابن معين والبخاري وابن عدي. انظر: تهذيب التهذيب ١/٢٨٨.

(٣) حديث صحيح الإسناد، رواه أبو بردة بن قيس في المستدرک على الصحيحين برقم ٢٤٩٧. الدرر السنية - الموسوعة الحديثية على الشبكة العنكبوتية.

(٤) الحديث فيه أبو قلابة لم يدرك معاذ بن جبل، أخرجه أحمد في مسنده (٢٢١٣٦) والفظ له، والطبري في (تهذيب الآثار - الجزء المفقود) ١٢٠ باختلاف يسير، وابن ماجه (٣٩٥١) مختصراً. الدرر السنية، الموسوعة الحديثية.

فهذا الحديث يدل أن طلبه لذلك ليكفر ما يقع من بعضهم لبعض.

وعن عائشة رضي الله تعالى عنها: إن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «رجزة تصيب أمتي من أعدائهم من الجن غدة كغدة الإبل من أقام عليها كان مرابطاً، ومن أصيب لها كان شهيداً، ومن فرّ منه كالفار من الزحف»^(١)، وفي كون الطاعون رجز أعدائنا الجن حكمة بالغة فإن أعدائنا منهم شياطينهم، وأما أهل الطاعة منهم فإخواننا والله أمرنا بمعاداة أعدائنا من الثقليين، وأن نحاربهم طلباً لمرضاته، فأبى أكثر الناس إلا مساكنتهم وموالاتهم فسلط الله عليهم عقوبة لهم حيث استجابوا لهم حتى أغوهم وأمروهم بالمعاصي والفجور والفساد في الأرض، فطاعوهم فاقتضت الحكمة أن سلطهم عليهم بالطعن كما سلط عليهم أعداءهم من الإنس حين أفسدوا في الأرض ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، فهذه ملحمة من الإنس والطاعون ملحمة من الجن، وكلّ منهما بتسليط غفر به الله لمن يستحق، وشهادة لمن هو هلهما، وهذه سنة الله في العقوبات تقع عامة فتكون طهراً للمؤمنين وانتقاماً من الفاجرين.

فإن قيل: إذا كان من الجن فكيف يقع في رمضان والشياطين تصفّد فيه وتغلّ؟

أجيب عنه كالجواب عن وقوع المعصية فيه، وهو أن المراد تعطيلهما على معظم العمل فلا يصلون إليه في رمضان مثل ما يصلون إليه [٥] في غير رمضان؛ لأنه في غيره بشدة وليس المراد إبطال الأعمال بالكلية. ويحتمل أن يقال: إنهم يطعنون قبل دخول رمضان ولم يظهر التأثير إلا بعد دخوله، وخطر لي أن يقال: إن تصفيدهم إنما هو عما ترتب عليه من ابن آدم أثم من يحتسب بينهم الفجور لابن آدم ليقع فيه، وأما لا يترتب عليه إثم بل يثاب المرء بسببه كالطاعون فلا يمنعون منه كما لا يمنعون مما لا يترتب عليه إثم ولا ثواب، كالاختلام.

وأجاب: بأن التصفيد لبعضهم دون البعض، انتهى. فإن قيل: ففي هذا يختص الطعن بالمسلمين، فإن الكفار ليسوا أعداء الجن، فالجواب: ما ظهر لي وهو أن الكفار أيضاً أعداء، فإن بني آدم مؤمنهم وكافرهم أعداء للجن لقوله تعالى: (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ)^(٢).

وأجاب ابن حجر العسقلاني: جاز بأن طعن الكفار من الإنس يكون من مؤمني الجن، انتهى.

وعن أبي بكر الصديق قال: كنت مع رسول الله في الغار فقال: «اللَّهُمَّ طَعْنًا وَطَاعُونَ»، فقلت: يا رسول الله إنا نعلم الطعن فما الطاعون؟ كما^(٣): «ذرب كالدمل إن طالت بك حياة ستراه»^(٤).

وأخرج أحمد عن معاذ قال: سمعت النبي يقول: «ستهاجرون إلى الشام فيفتح لكم، ويكون فيكم داء

(١) حديث حسن، انظر كتاب صحيح الجامع الصغير وزيادته، (٣٩٤٢)

(٢) سورة يس، الآية ٦٠.

(٣) هكذا في الرسم، والصحيح: قال.

(٤) رواه أبو يعلى الموصلي، وفي سنده جعفر بن الزبير وهو ضعيف، ٦٣/١ رقم الحديث ٦٢. انظر: مجمع الزوائد ومنبع الفوائد،

علي بن أبي بكر الهيثمي، رقم ١٣٣٨٠، مؤسسة المعارف - بيروت. الدرر السنية، الموسوعة الحديثية.

كالدمل يأخذ بمراق الرجل فيستشهد الله به أنفسكم ويزكي به أعمالهم، اللهم إن كنت تعلم أن معادًا معه من النبي فأعطه هو وأهل بيته الحظ الأوفر منه، فأصابعهم الطاعون فلم يبق منهم أحد، فطعن في السبابة فكان يقول: ما [٦] يسرني أن لي بها^(١) شيء من النعم».

وعنه أيضًا عن النبي أنه قال: «تنزلون منزلًا يقال له الجابية^(٢) يصيبكم فيه داء مثل غدة^(٣) الجمل يستشهد الله به أنفسكم وذرائكم ويزكي به أعمالكم»^(٤).

وأيضًا وقال: «الطعن ينتشر به الدمل يخرج في الأرباط والمراق وفيه تزكية أعمالكم وهو لكل مسلم شهادة»^(٥)، وما قاله الأطباء في هذا من أنه مادة سميّة تحدث فهذا بطل لا صل له، وقد رفع للسيوطي سؤالًا وجوابه له في ذلك، فأجاب: فإن ذلك باطل، فنظره في الكتاب الذي اختصرناه وجه^(٦) هذا الجزء، والطاعون أخص من الوباء، والوباء أعم، فإن الوباء هو المرض العام فقد يكون بطاعون وبغيره، فكل طاعون وباء لا عكس، وإن المدينة لا يدخلها الطاعون كما ثبت في حديث^(٧)، وقد دخلها الوباء والموت الكثير في زمن عمر لكن بغير طاعون.

فصل: في سبب وقوع الطاعون

عن ابن عمر أن النبي قال: «لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون»^(٨).

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٢٤١/٥، وذكره الهيثمي في المجمع، ٣١١/٢، ونسبه إلى أحمد وقال:

واسماعيل بن عبيد الله لم يدرك معاذًا. انظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ١، ص ٤٥٨.

(٢) الجابية: قرية في الجنوب الغربي من دمشق.

(٣) الغدة: كل غدة في جسد الإنسان أطاف بها شحم، وغدة الإبل: طاعون يصيب الإبل وقلمًا تسلم منه. انظر: النهاية لابن

الأثير ٣/٣٤٣، ولسان العرب [مادة: غدد].

(٤) ورد في الدرر السنية - الموسوعة الحديثية، ص ٨٥٨ حديث مثله باختلاف يسير، رواه معاذ بن جبل، وصنفه الألباني، محمّد

ناصر الدين في كتابه ضعيف الترغيب والترهيب، مكتبة المعارف، الرياض، ط ١٤٢١هـ.

(٥) لم أجده في المراجع.

(٦) العبارة اختصرناه وجه، مطموسة، ولعلها اختصرنا فيه وجه.

(٧) والحديث هو: «على أنقاب المدينة ملائكة، لا يدخلها الطاعون ولا الدجال». رواه أبو هريرة، وأخرجه البخاري (١٨٨٠) ومسلم

(١٣٧٩). انظر: الدرر السنية، الموسوعة الحديثية.

وقد سجلت المصادر التاريخية أن الطاعون نفسه لم يدخل المدينة بل كان محصورًا في الشام (خصوصًا عمواس نسبة إلى بلدة عمواس قرب القدس بين فلسطين وبلاد الأردن)، وكان عمر رضي الله عنه قد خرج متوجهًا إلى الشام وسمع بالوباء عند حدود الحجاز والشام، فاستشار الصحابة فاتفقوا على الرجوع، فقال أبو عبيدة: أفرارًا من قدر الله؟ فقال عمر: لو غيرك قالها يا أبا عبيدة، نعم نفر من قدر الله إلى قدر الله»، أخرجه البخاري (٥٧٢٩) دار طوق النجاة، ج ٧، ص ١٧-١٨. وفي زمن لاحق وقع طاعون الجارف سنة ٦٩هـ، وكان في العراق والشام ولم يدخل المدينة أيضًا، انظر: ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٩، طبعة دار إحياء التراث العربي.

(٨) هذا الحديث مشهور بلفظ: «لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون والأوجاع التي لم تكن في

أسلافهم الذين مضوا...». رواه ابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب العقوبات، حديث رقم ٤٠١٩. كما رواه الحاكم في

المستدرک، والبيهقي في شعب الإيمان، والطبراني في المعجم الكبير، وغيرهم، وصححه الألباني. انظر: سنن ابن ماجه، تحقيق

وأخرج إمامنا مالك في الموطأ: «ما فشى الزنا في قوم قط إلا كثر فيهم الموت»، وفي رواية: «ما من قوم يظهر فيهم الزنا إلا أخذوا بالفناء»^(١). قال ابن حجر: والحكمة في ذلك أن الزنا حدّه إزهاق الروح في المحصن أو اللائط كما عند مالك، فإذا لم يقم فيه الحدّ سلط الله عليهم الجن يقتلونهم.

قلت: وذلك أن الزنا لما كان يقع غالباً سرّاً سلط الله عليهم عدوّاً يقتلهم سرّاً من حيث لا يرونه، وقاعدة العذاب إذ نزل يعمّ المستحق [٧] وغيره، ثم يبعثون على نياتهم.

وأخرج ابن أبي الدنيا في ذكر الموت في قوله: -تعالى- (وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ) وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخَوِيفًا^(٢)، قال: الموت الذريع^(٣).

فصل: في فضيلة الطاعون

أخرج البخاري ومسلم عن أنس رفعه: «الطاعون شهادة لكل مسلم»^(٤)، وفي لفظ: «للطاعون شهيد»^(٥)، وفي لفظ: «الطاعون شهادة»^(٦)، وأخرج أحمد والنسائي بسند صحيح عن العرياض بن سارية: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «يختصم الشهداء والمتوفون على فرشهم إلى ربنا جل جلاله في الموتى يتوفون في الطاعون، فيقول الشهداء إخواننا ما نراكم مثلنا فيقول الله: انظروا إلى جراحهم، فإن اشتهت جراح المقتولين فإنهم منهم، فإذا جراحهم أشبهوا جراحهم»^(٧).

وأخرجه الكلاباذي^(٨) في مباني الأخبار وزاد: «فيلحقون بهم»، وروي «أنهم يأتون فيقول: أصحابي الطاعون عن شهيد فيقول: انظروا فإن كانت جراحهم كجراح الشهيد سيل دمائهم ويريحهم كالمسك فهم شهداء، فيخبرونهم كذلك»^(٩)، وعن عائشة قال: سألت النبي عن الطاعون فأخبرني «أنه كان عذاباً يبعثه الله على من

محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ط ١، مج ٢، ص ١٣٣٢، حديث رقم ٤٠١٩.

(١) الحديث مروي بمعاني قريبة في عدة مصادر موثوقة صحيحة، أما بهذا اللفظ فقد ورد من حديث عمرو بن العاص عن ابن عباس نحوه، وسنده ضعيف. انظر: أرشيف ملتقى أهل الحديث، ج ٦٢، ص ١.

(٢) سورة الإسراء، الآية ٥٩.

(٣) انظر: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، موقع التفسير العظيمة، وقفية الأمير غازي للفكر القرآني على الشبكة العنكبوتية.

https://www.greatafsirs.com/Tafsir_Library.aspx?FromMainTafsir=1&MadhabNo=2&TafsirNo=26&SoraNo=17&AyahNo=59&LanguageID=1

(٤) حديث صحيح، أخرجه البخاري (٢٨٣٠)، ومسلم (١٩١٦). الدرر السنية، الموسوعة الحديثية حديث (٢١١٧٩).

(٥) لم أجده بهذا اللفظ.

(٦) لم أجده بهذا اللفظ.

(٧) لم أجده له إسناداً مرفوعاً إلى النبي صلى الله عليه وسلم بهذا اللفظ في كتب الحديث المشهورة، لكن قريب في المعنى وهو حديث

حسن، رواه العرياض بن سارية في صحيح الجامع الصغير، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣،

حديث (٨٠٤٦)

(٨) هو أبو بكر محمد بن أبي إسحاق خير الدين الكلاباذي البخاري الحنفي (ت ٣٨٠هـ)، من مؤلفاته كتاب: بحر الفوائد، والتعرف

لمذهب أهل التصوف. انظر: المكتبة الشاملة.

(٩) أخرجه أحمد بسند حسن عن عتبة بن عبد السلمي رفعه، وهو قريب من هذا اللفظ. انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح

يشاء وجعله رحمة للمؤمنين، فليس من رجل يقع الطاعون في بلده فيمكث فيها صابراً محتسباً يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب له كان له أجر شهيد^(١)، قال ابن حجر: مقتضى الحديث أن أجر الشهيد يكتب لمن لم يخرج من البلد الذي يقع فيها الطاعون، وأن تكون حال إقامته قاصداً^(٢) الثواب عارفاً راجياً حد موعوده، وإن وقع فبال تقدير وإن صرف كذلك، ولا [٨] يضجر وأن يعتمد على ربه وفي الصحة والمرض، فمن أيقن بتلك فمات بغيره^(٣) كان أجره كأجر شهيد، ويكون كمن خرج بنية^(٤) أن الجهاد فمات له أجره كأجر الشهيد، وكذا لو وجدت ومات بعد الفرار منه، ومن لم يتصف بهذه لا يكون شهيداً وإن مات به، ومن صبر محتسب يأمن من فتنة القبر كالمرايط.

وأخرج أحمد عن شرحبيل بن حسنة قال: «إن هذا الطاعون رحمة ربكم ودعوة نبيكم، وقبض الصالحين قبلكم»^(٥) وأخرجه الطحاوي، عنه والمراد بالصالحين هم بنو إسرائيل، وإن وقع لهم العذاب لأنه جعل كفارة وطهرة كما كان قتل بعضهم بعضاً كفارة لمن عبد العجل، فهم صالحون لأهم تائبون مستسلمون. وعن عسيب بن موسى عن النبي أنه قال: «أتاني جبريل بالحي والطارعون، فأمسكت الحي بالمدينة وأرسلت الطاعون إلى الشام»^(٦)، انتهى.

فائدة: وهو رجس على الكافرين وقذف على التردد في الفاسق، ما حكمه وهو مرتكب الكبيرة إذا هم^(٧) وهو حال إمراره فلا يكره بالزينة للمعصية، ويحتمل إن عقل لإطلاق الأخبار، خصوصاً هو لكل مسلم كشهيد القتال، ولو كانت عليه ذنوب كثيرة ولم يتب إلا [---]^(٨)، وأول رحمة ترفع من الأرض الطاعون.

فصل: في اختصاص المدينة بأن الطاعون لا يدخلها

عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «على أنقاب المدينة ملائكة لا يدخلها الطاعون ولا الدجال»^(٩)، وهذه معجزة للنبي لأن الأطباء جميعاً عجزوا عن أن يمنعوا الطاعون عن بلد من البلاد، بل على قرية صغيرة، وذلك بدعاء النبي، ومكة تشاركها في ذلك لما روى أبو هريرة أنه قال: قال [١٠] رسول الله صلى الله

الباري شرح صحيح البخاري، ج ١٠، ص ٢٠٣.

(١) حديث صحيح أخرجه الألباني في صحيح الجامع رقم ٣٩٤٩. المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣.

(٢) في الرسم (قاصد) والأصح قاصداً كما أثبتناه.

(٣) يقصد بغير الطاعون.

(٤) غير مقروءة في الرسم ولعلها بنية.

(٥) أخرجه أحمد بسند حسن عن عتبة بن عبد السلمي رفعه، وهو قريب من هذا اللفظ. انظر: ابن حجر العسقلاني، فتح الباري

شرح صحيح البخاري، ج ١٠، ص ٢٠٣.

(٦) أخرجه أحمد في مسنده ٨١ / ٥ رقم (٢٠٧٨٦)، والطبراني ٣٩٢ / ٢٢، رقم (٩٧٤).

(٧) غير واضحة في الأصل.

(٨) هكذا في الأصل.

(٩) أخرجه البخاري في صحيحه (١٨٨٠) ومسلم (١٣٧٩). انظر الدرر السنية، الموسوعة الحديثية.

عليه وسلم: «المدينة ومكة محفوفتان بالملائكة على كل بين^(١) منها ملك لا يدخلها الدجال ولا الطاعون»، واختصاص المدينة بذلك لأنها قرية صغيرة.

فصل: في النهي عن الفرار منه والقعود عليه

قال تعالى: (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ...) (٢) الآية... قال: «فروا من الطاعون»^(٣)، وأخرج عن قتادة قال: «مقتهم الله على فرارهم من الموت فأماهم عقوبة ثم بعثهم إلى بقية آجالهم للابتعاد، وكانوا إذ ذاك أربعة آلاف»^(٤)، وعن النبي أنه قال: «إذا وقع الطاعون بأرض وأنتم فيها فلا تخرجوا فإن الموت في أعناقكم، وإذا كان بأرض فلا تدخلوها، فإنه يحرق القلوب، والفرار من الطاعون من الكبائر؛ لأن الفار منه كالفار من الزحف»^(٥)، وقال: «من فرّ يسلم»^(٦).

فصل: ولم يشرع للطاعون دعاء

وما قيل أنه له دعاء باطل لا أصل له؛ لأنه لم ينقل عن النبي ولا عن أصحابه، وعن خلافة عمر أتباعه ولا عن الأئمة، انتهى.

وأول طاعون وقع في الإسلام طاعون عمواس في خلافة عمر سنة سبعة عشر سنة^(٧)، ومات من جيش

(١) غير واضحة في الرسم، والحديث كما ورد في الصحيحين: «المدينة ومكة محفوفتان بالملائكة على كل نقب منها ملك لا يدخلها الدجال ولا الطاعون»، انظر: الدرر السنية، الموسوعة الحديثية.

(٢) سورة البقرة، الآية ٢٤٣.

(٣) لم أجده بهذه الصيغة.

(٤) تفسير للآية الكريمة (أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ) إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ الآية: ٢٤٣ من سورة البقرة. قال أكثر أهل التفسير: كانت قرية يقال لها: داوردان قبل واسط بها وقع الطاعون فخرجت طائفة منها وبقيت طائفة فهلك أكثر من بقي في القرية وسلم الذين خرجوا فلما ارتفع الطاعون رجعوا سالمين فقال الذين بقوا: أصحابنا كانوا أحزم منا لو صنعنا كما صنعوا لبقينا ولن وقع الطاعون ثانية لنخرجن إلى أرض لا وباء بها فوقع الطاعون من قابل فهرب عامة أهلها وخرجوا حتى نزلوا وادبا أفيح فلما نزلوا المكان الذي يبتغون فيه النجاة ناداهم ملك من أسفل الوادي وآخر من أعلاه: أن موتوا فماتوا جميعاً. وقد روي في تفسير هذه الآية أن هؤلاء كانوا أربعة آلاف (أو ثمانية أو عشرة آلاف، وقيل أكثر)، خرجوا من قرية في أرض يقال لها داوردان (قرب واسط بالعراق) هرباً من الطاعون، فأنزل الله عليهم الموت، فماتوا جميعاً، ثم أحياهم ليعتبر الناس جاء في بعض الروايات عن ابن عباس: "خرجوا فراراً من الطاعون، فقال الله لهم: موتوا، فماتوا، ثم أحياهم حتى مضت بقية آجالهم". وفي تفسير البغوي وغيره: «أماهم الله عقوبة لهم على فرارهم من الجهاد، ثم أحياهم بعد ذلك»، واختلفوا في العدد المذكور (أربعة آلاف) وهو أشهر الأقوال. انظر: تفسير الطبري ج ٣، ص ٢١٧ وما بعدها، تفسير ابن كثير ج ٢، ص ٦١٧ وما بعدها.

(٥) ذكره ابن حجر في التقريب وقال: سيف بن عمر التميمي ضعيف في الحديث مشهور بالفتوح، وفي تهذيب التهذيب: متروك الحديث فلا يحتج به في الأحكام الشرعية. والفتوح مختصر لكتاب الفتوح الكبير والردّة. وأصل الحديث صحيح ثابت في الكتب المعتمدة لكن بهذه الصيغة لم يرد لأن سيف بن عمر متروك الحديث.

(٦) لم أجده في الأحاديث الصحيحة، وهو أقرب لحديث ضعيف عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لياتين على الناس زمان لا يسلم لذي دين دينه إلا من فرّ بدينه...». انظر موقع: الإسلام سؤال وجواب، سؤال رقم: ١٦٢٨٣٤.

(٧) والراجح في سنة ثمانية عشر.

المسلمين خمسة وعشرون ألفاً وقتل ثلاثون، وسمي بذلك لأنه عمّ الناس وتواسوا فيه^(١) فقيل: أول طاعون وقع على عهد أبي^(٢) سنة ستة من الهجرة بالمدينة^(٣) وسمي [ببشر ربه ولم وأعلم]^(٤) كم مات فيه ثم وقع بالكوفة ثلاث مرات ثم بالبصرة ومات لأنس بن مالك ثلاثة وثمانون ولدًا ولأبي بكر أربعون ولدًا وماتت أم أمير البصرة فلم يجدوا من يدفنها فمات في اليوم الأول سبعون ألفًا وفي الثاني تسعون ألفًا وفي الثالث [١٠] ثلاثة وتسعون ألفًا وفي الرابع حمد الناس، ثم وقع بمصر سنة ستة وستين ثم بالبصرة ثلاث مرات وبالشام ثلاث مرات، ثم في الري ثم في بغداد ثم بالعراق نهر بأصبهان، ثم في سنة ثلاثة وعشرون وأربعمائة جاء طاعون عظم في البلاد وأفنى الناس، ثم بشيراز ثم بالحرير ثم بمصر والشام ثم بالحجاز ثم مصر سنة خمس وخمسين وأربعمائة وأقام بها عشرة أشهر، ثم بدمشق سنة تسعة وستين وكان أهلها خمسمائة ألف، فلم يبق منهم إلا ثلاثة آلاف وخمسمائة، ثم بالعراق ثم بالحجاز واليمن، ثم بمصر. ثم وقع الطاعون العام فإنه طبق الأرض شرقًا وغربًا وبلغ الموت في القاهرة زيادة كل يوم عن عشرين ألفًا وقع في القاهرة أربع مرات وبدمشق ستين^(٥).

فصل في دفعه

ورد: إن أمر المشط على حاجبيه عوفي من الطاعون، وينبغي أن يبدأ بالأيمن من جهة الأذن إلى منتهى الحاجب اليسار، ويعود إلى حيث بدأ. ومن تخطم بالياقوت عوفي من الطاعون، وينبغي أن يكون من الأحمر، وأن يكون في خنصر اليمين وأن لا يكون فيه ذهب للرجال دون النساء، ومن لازم الصدقة في يومه لم يصبه، والوضوء كذلك، وإذا كتب بهذا الشكل وعلق على الرأس ينفع وتكون الحروف غير مطموسة، ويذكر الاسم عندها: [يا رقيب يا مقتدر^(٦) يا خلاق يا عليم] ويكتب ويحمد أيضًا الآية أربع مرات ولا تطمس حروفها هكذا: إن الله عزيز ذو انتقام، وينقش في فص ويحمل [ال ل ق ف ي ت ب د ر] ويكتب في فص [١١] خاتم ويحمل ويوضع هذا الخاتم في الماء [يا حي يا عليم يا حنان يا حكيم] ويشرب منه المصاب بالحمى الوبائية وعافهم أصناف الحمى ببرأ إن شاء الله، وتكتب سورة الصف كاملة في إناء من نحاس أحمر وتمحى الكتابة وترش الماء في البيت فإنه لا يدخله مؤذن من الجن ولا غيرهم.

ويكتب على الباب هذه الآية، ولا تطمس حروفها (فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسُكَ وَحَرِّضْ

(١) أي جعل بعض الناس أسوة ببعض.

(٢) لعلة يقصد ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) لعلة سقط هنا، إذ لم يسجل التاريخ أي وباء عام ستة للهجرة، ولعله يقصد سنة ستة وتسعون للهجرة وهو طاعون الجارف لأنه كان شديدًا جدًا وجرف كثيرًا من الناس كما يجرف السيل، كما وسمي طاعون الأشراف لأنه أصاب عددًا كبيرًا من الأشراف في العراق والشام.

(٤) هكذا في الأصل.

(٥) انظر جدول الطواعين في الملحق.

(٦) غير واضحة في الرسم لكن الأرجح كما أثبتنا.

الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا^(١) الآية، وعلى الباب أيضًا: (قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ)^(٢) الآية.

وعلى الباب هذه الآية: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ)^(٣)، وتكتب على الباب اسمه تعالى: [حي]، ثمانية عشر مرة في ول ساعة من يوم الجمعة، وكل مرة يتلو الكاتب [حي] متلفظ بها ويكتب [المؤمن]، ويكتب أيضًا على الباب هكذا: [محمد رسول الله الشيخ عبد القادر الجيلاني^(٤)، الشيخ أحمد البلقيني^(٥)]، ويكتب ويكتب^(٦) هذه الآيات في أربع ورقات ويلصق كل ورقة في جانب من جوانب البيت من الداخل (سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَجِيمٍ)^(٧) الآية، (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ)^(٨) الآية، (سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ)^(٩) الآية، (سَلَامٌ هِيَ حَتَّى مَطْلَعِ الْفَجْرِ)^(١٠) ويكتب هذا في أربع أوراق ويخيط عليه بجلد يتجنب^(١١) لا يداس وهو هذا: [الحفيظ الحفيظ]^(١٢).

ولطرده أن يقرأ الفاتحة كل يوم بعد الصبح ثمانية وعشرون مرة، ويقول بعدها: لا إله إلا الله ألف مرة، وله أيضًا أن يكتب هذه الحروف على الكف الأيمن [ادع له اخرج] اخرج [١٢] اخرج، ويضع الكف على محل الوجع ويقرأ: (وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ) إلى قوله: (...وَاللَّزَّائِبِ)^(١٣) ثلاثًا، (هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ)^(١٤) إلى آخر السورة، يكرر ذلك ثلاث مرات فإنه يذهب، وهذه الأسماء الأربعة: [نافع، معافي^(١٥) شافي

(١) سورة النساء، الآية ٨٤.

(٢) سورة آل عمران، الآية ١٢.

(٣) سورة العنكبوت، الآية ٩٠.

(٤) هو عبد القادر بن موسى الجيلاني، محيي الدين (ت ٥٦١) في بغداد، يعود نسبه إلى منطقة جيلان قرب بحر قزوين في إيران اليوم. يعد مؤسس الطريقة القادرية، أشهر الطرق الصوفية، من مؤلفاته: فتوح الغيب، الفتح الرباني والفيض الرحماني. انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مج ٢٠، ترجمة رقم ١١٧.

(٥) هو الإمام شهاب الدين أحمد بن محمد بن رسلان البلقيني (ت ٨٢٤هـ)، يعود نسبه إلى (بلقينا) قرية في مصر، من مؤلفاته: كتاب في الفقه الشافعي.

(٦) هكذا مكررة في الرسم.

(٧) سورة يس، الآية ٥٨.

(٨) سورة الزمر، الآية ٧٣.

(٩) سورة الرعد، الآية ٢٤.

(١٠) سورة القدر، الآية ٥.

(١١) غير واضحة في الرسم والمرجح ما أثبتناه.

(١٢) كتابة وخطوط غير واضح منها سوى اسم: الرقيب، مرتين.

(١٣) سورة الطارق، الآية ١، ٧.

(١٤) سورة الحشر، الآية ٢٢.

(١٥) هكذا في الرسم، ولفظ المعافي ليس من الأسماء التوقيفية في مذهب السلف، ولا حرج في الذكر بالدعاء المذكور عند تناول

الدواء أو غيره، وليس في ذلك مخالفة شرعية، فالله سبحانه وتعالى هو الشافي والمعافي.. وقد قال الله تعالى على لسان

نبيه إبراهيم: (ثُمَّ نُوثِّرُ) [سورة الشعراء، الآية ٨٠]. موقع إسلام ويب، حكم قول: بسم الله الشافي المعافي عند تناول

كافي] ويذكر للطاعون كل يوم مائة مرة وستة وثلاثين مرة، وله أيضاً: يا حي يا قيوم ألف مرة. ويذكر هذه الأسماء: [يا لطيف يا شافي يا عزيز يا كافي] بغير عدد وبحسب الإمكان، ويقال: كل يوم: لا إله إلا أنت سبحانك مائة وثلاثة وثلاثين مرة، ويقول: اللّهُمَّ أحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأجرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة مائة وعشرين مرة، ويقال كل يوم: بسم الله خير الأسماء بسم الله رب الأرض والسماء، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا السماء وهو السميع العليم مائة وستة وثلاثين مرة، ويقال بغير عدد في أي وقت يقدر ما يمكن، اللّهُمَّ صلي على سيدنا محمّد صلاة تحلّ بها العقد وتفرج بها الكرب وتشرح بها الصدر وتيسر بها الأمور، وسلم تسليماً كثيراً، وتكتب آية الكرسي فقط وتعلق.

ومن لازم لإيلاف قريش كل صلاة كان محفوظاً، وكان في حراسته من حوله إلى سبعة عشر دار. وكذلك من لازم قراءة المعوذتين بعد صلاة، وإذا نزل ذلك فليكن الإنسان في البيوت الباردة، وأكل العدس المقشور مطبوخاً مع الخل نافع للطاعون، ويكتب في ورقة ويمضغها لمطعون ثم يبلعها وهو هذا: [بسم الله الرحمن الرحيم، (قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)^(١)، (لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ)^(٢)]، اسكن أيها الوجع والألم بالذي سكن [١٣] له ما في الليل والنهار وهو السميع العليم يا رب، يا باري يا وتر يا مهيمن يا حمد، وتكتب في ورقة وتربط على محل الطعن: أيها النبات المنبوت مت مت مت بإذن الحي الذي لا يموت، ومن المستحسن أن يستقذ نفسه من النار بتلاوة سبعين ألف مرة: لا إله إلا الله، فإن ذلك مما وصل لحد التواتر المنقذ من النار، نسأل الله النقذ بالعنق من النار.

ومن المشاهد نفعه لذلك وهو يذبح كبشاً سميئاً سليماً من العيوب كالأضاحي، ويكون أخذه بمال حلال في الذمة، ويذبح في موضع خالي من الناس ذبحاً شرعياً، ويتوجه إلى القبلة ويقول عند الذبح - هو أو وكيله -: اللّهُمَّ إنه فدائي أو فداء فلان فتقبله مني، ويحضر لدمه حفرة ويردمه بالتراب حتى لا يبطأ أحداً على دمه، ويقسمه ستين جزءاً ويفرقه على الفقراء ولا يأكل منه شيئاً ولا من تجب عليه نفقته، فإنه يكون فداء له وينجو إن شاء الله، وإن تعذر ذلك فليطعم ستين مسكيناً أفضل الطعام ويشبعهم ثم يقول: اللّهُمَّ إني ستكفي هذا المرض بحق هؤلاء، وأسألك بأنفسهم وأرواحهم وعزائمهم أن تنجيني مما أخافه وأحذر يا أرحم الراحمين، وإن جمع بين الإطعام والذبح فهو أولى، وصلى الله على سيدنا محمّد وعلى آله وصحبه وسلم، ويكتب سورة الفاتحة مفصلة مجوفة غير مطموسة حروفها في إناء طاهر غير نحاس ومحرم وينطق الكاتب لهن بكل حرف عند كتابته، ثم يمعي بها طاهر ويبقي منه ويدهن المحل بشيء من الماء فإنه نافع، ويلزم كل يوم بعد صلاة الصبح قبل أن يتكلم أحد: حسبنا الله ونعم الوكيل أربعمئة وخمسين مرة، فإنه يكون سالماً ذلك اليوم من الآفات

الدواء. انظر الفتوى رقم ٢٠٧٨٠٥.

(١) سورة يوسف، الآية ٩٨.

(٢) سورة الأنعام، الآية ٦٧.

[١٤].

ويلازم بعد صلاة كل فريضة عقب السلام قبل أن يتكلم وهو جالس للتشهد ثلاث مرات: سبحان من لا يعلم قدره غيره ولا يبلغ الواصفون صفته. انتهى ما اختصرنا من كتاب (ما رواه الواعون في رفع الطاعون) للسيوطي، ومن (خلاصة ما تحصل عليه الواعون) للبيلوني، نفع الله به من قرأه وحصله.

قال مؤلفه: وكان الفراغ من تأليفي ليلة الأربعاء بعد العشاء تاسع ربيع الأول الذي هو من شهور سنة لف ومائة واثنى عشر من الهجرة النبوية، على صحبها عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام على يد مؤلفها ومالكها عيسى بن عيسى بن عيسى السفطي بلدًا الحنفي مذهبًا، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

خاتمة:

في ختام بحثي هذا أرى من الواجب أن أبين أهم ما توصلت إليه من النتائج، والتي يمكن أن أذكر أهمها: كان الشيخ الصفطي حافظاً وفقهماً وجميع آثاره العلمية التي خلفها للأجيال بعده، كانت في فروع الفقه الحنفي.

ليست له آثار أخرى غير علم الفقه؛ ولعل السبب في ذلك يرجع إلى أن علم الفقه من أشرف العلوم. كما كان له باع طويلة في توضيح المسائل الفقهية، وما قدّمت من دراسة متواضعة عن سيرته وعلميته وغيرهما. وشخصية الشيخ الصفطي تستحق دراسة أوسع وعناية أكثر من هذا، ولكن على حد قول المنطقة: العلم ببعض الجزئيات خير من الجهل بالجزئيات والكلّيات.

وأخيراً، أسأل الله تعالى لي وللمسلمين جميعاً أن يرزقنا بعلم ينفعنا وعمل يرفعنا ويرفع عنا ما علينا. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين.

ملحق

جدول الطواعين من زمن النبي ﷺ حتى 423 هـ

أهم التفاصيل	المنطقة الأساسية	اسم الطاعون	السنة الهجرية
لا يذكر طاعون، بعض الخلط بسبب غزوة الحديبية.	—	—	6هـ
روايات ضعيفة، لا تثبت عند المحدثين	الشام؟	—	9هـ
مات فيه عدد كبير من الصحابة، منهم أبو عبيدة، معاذ بن جبل	عمواس (فلسطين) الشام عامة	طاعون عمواس	18هـ
وقع في العراق والشام، مات فيه خمسون ألفاً	العراق، فارس	طاعون شيرويه	21هـ

50هـ	طاعون الجارف الأول	البصرة	سعي لشدة جرفه للناس
69هـ	طاعون الجارف الثاني	البصرة	مات فيه عدد هائل، وقيل مات فيه أنس بن مالك
87هـ	طاعون الفتيات	العراق البصرة	سعي لكثرة موت الفتيات
131هـ	طاعون الأشراف	الكوفة، العراق، الشام	كثر فيه موت الأشراف والأعيان
133هـ	طاعون عام	العراق، خراسان	عم مناطق واسعة في نهاية الدولة الأموية
181هـ	طاعون شديد	العراق	وقع في زمن هارون الرشيد
187هـ	طاعون	بغداد	تفشى في بغداد ومات خلق كثير
233هـ	طاعون	بغداد، العراق	في زمن المتوكل العباسي
260هـ	طاعون شديد	بغداد، العراق	قتل عددًا كبيرًا من الناس
283هـ	طاعون	الشام والعراق	وصف بأنه "وباء عام"
300هـ	طاعون	بغداد	من أكبر الطواعين في القرن الرابع الهجري
315هـ	طاعون	بغداد	شديد، أودى بكثير من العلماء
333هـ	طاعون	العراق	عم عدة مدن
352هـ	طاعون	العراق، الشام	شديد، تكررت بعدها موجات
406هـ	طاعون	بغداد	ذكره ابن الأثير وابن كثير
417هـ	طاعون	بغداد	شديد الانتشار قبل سنة 423 هـ
423هـ	طاعون	بغداد، العراق	آخر طاعون كبير قبل منتصف القرن الخامس

فهرس الموضوعات

٢١١	المُلخَص
٢١١	Abstract
٢١٢	المقدمة
٢١٣	أهمية الدراسة:
٢١٣	أسباب اختيار الدراسة
٢١٣	مشكلة الدراسة:
٢١٣	أهداف الدراسة:
Error! Bookmark not defined.	منهج البحث:
٢١٤	صعوبات الدراسة

أسباب التحقيق:	Error! Bookmark not defined.
حدود الدراسة:	٢١٤
خطة الدراسة:	٢١٤
مقدمة:	٢١٤
القسم الأول: التعريف بالمؤلف	٢١٤
القسم الثاني: النص المحقق ودراسته	٢١٦
فصل: في مبتدأ الطاعون	٢١٦
فصل: في حقيقة الطاعون	٢١٨
فصل: في سبب وقوع الطاعون	٢٢٠
فصل: في فضيلة الطاعون	٢٢١
فصل: في اختصاص المدينة بأن الطاعون لا يدخلها	٢٢٢
فصل: في النبي عن الفرار منه والقدوم عليه	٢٢٣
فصل: ولم يشرع للطاعون دعاء	٢٢٣
فصل: في دفعه	٢٢٤
ملحق	٢٢٧
جدول الطواعين من زمن النبي ﷺ حتى 423 هـ	٢٢٧
فهرس الموضوعات	٢٢٨

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- ١- ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، ج ١٠، ص ٢٠٣.
- ٢- ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٩، طبعة دار إحياء التراث العربي.
- ٣- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين بن مكرم الأنصاري، لسان العرب، حرف الذال، مادة ذفف، تحقيق إبراهيم اليازجي وآخرون، ط ٣، دار صادر، بيروت.
- ٤- أبو يعلى الموصلي في مسنده ح (٧٢٢٦) ١٣ / ١٩٤.
- ٥- أحمد في مسنده ٢٤١ / ٥.
- ٦- أرشيف ملتقى أهل الحديث، ج ٦٢، ص ١.
- ٧- الألباني في صحيح الجامع رقم ٣٩٤٩. المكتب الإسلامي، بيروت، ط ٣.
- ٨- الألباني، محمّد ناصر الدين (ت ١٤٢٠هـ)، إرواء الغليل في تخرّيج أحاديث منار السبيل، المكتب الإسلامي

- بيروت، ط٢، ١٩٨٥ م، فصل الحديث (١٦٣٧).
- ٩- البزار في مسنده ح (٢٩٨٦) ١٦/٨.
- ١٠- البيهقي في الدلائل ٣٨٤/٦.
- ١١- الترغيب والترهيب، مكتبة المعارف، الرياض، ط١ ١٤٢١هـ.
- ١٢- تفسير ابن جرير الطبري (٣١٠هـ) في سورة الأعراف (١٧٦).
- ١٣- تهذيب التهذيب ٢٨٨/١.
- ١٤- الثعلبي، الكشف والبيان عن تفسير القرآن، تفسير سورة الأعراف، ط دار التفسير.
- ١٥- جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، ما رواه الواعون في الأخبار الواردة عن الطاعون، تحقيق محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٩٧ م.
- ١٦- الحاكم في المستدرك ح (١٥٨) ١١٤/١.
- ١٧- الدر المنثور في التفسير بالمأثور، موقع التفسير العظيمة، وقفية الأمير غازي للفكر القرآني على الشبكة العنكبوتية.
- ١٨- الدرر السنية - الموسوعة الحديثية على الشبكة العنكبوتية.
- ١٩- الذهبي، سير أعلام النبلاء، مج ٢٠، ترجمة رقم ١١٧.
- ٢٠- سنن ابن ماجه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، ط١، مج ٢، ص ١٣٣٢، حديث رقم ٤٠١٩.
- ٢١- سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج ١، ص ٤٥٨.
- ٢٢- صحيح البخاري (٥٧٢٩)، دار طوق النجاة، ج ٧.
- ٢٣- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، شمس الدين أبو الخير محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ)، دار مكتبة الحياة، بيروت: ٥٦/٤.
- ٢٤- الطبراني في الأوسط ح (١٤١٨) ١٠٩/٢.
- ٢٥- العرياض بن سارية في صحيح الجامع الصغير، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٣، حديث (٨٠٤٦).
- ٢٦- لسان العرب [مادة: غدد].
- ٢٧- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، رقم ١٣٣٨٠، مؤسسة المعارف - بيروت.
- ٢٨- مسند الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤-٢٤١هـ)، حديث رقم (١٩٥٢٨)، مؤسسة الرسالة، ط ١/٢٠٠١ م.
- ٢٩- معجم المؤلفين، المجلد ٨، ص ٣٠.
- ٣٠- النهاية لابن الأثير ٣/٣٤٣.
- ٣١- الهيثمي في المجمع ٢/.
- ٣٢- الهيثمي في المجمع، ٣١١/٢.